اولو الامر في القرآن

<"xml encoding="UTF-8?>

اكتسبت مسألة أولي الأمر أو صاحب الأمر أهميتها الفائقة لدي الصحابة ربّما انطلاقاً من هذه الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ 1

وتدور محاور الطاعة في هذه الآية حول ثلاثة:

الله عزوجل: و طاعته حكم عقلي و وجداني. فالعقل يؤيّد وجوب الإستجابة لله عزوجل دون قيد أو شرط؛ لإنّه خالق الوجود و مالك الموجودات، وكلّ شيء في قبضته، و أوامره نافذة.

ولأن أحكامه -سبحانه - من أوامر ونواهٍ لا تصل البشر مباشرة بل بواسطة يبلغون الشريعة كما أنزلها الله عزوجل، فالنبي لا يبدع بل يبلّغ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ 2.

الرسول: و طاعته واجبة لأنّ الله قرن طاعته بطاعة النبي الذي بعثه. و من هنا يستشف أنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) له قراراته و أحكامه الخاصة به. فإن له إضافة الي مهمته في تبليغ الرسالة مهمة اخري تتعلّق في تطبيق شرع الله في أرضه و بين عباده، و هو مسؤول عن إقرار النظام و إرساء قواعد العدل و قيادة المجتمع في طريق الخير و الحقّ و إعلاء كلمة الإسلام، و هي مهمّة الهية لا يمكن القيام بها إلّا من خلال تشكيل جهاز حكومي متكامل يستوعب كلّ شؤون الحيا ة الإنسانية.

ومن هنا فإن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) يتحرّك في هذا الإطار بعنوان حاكم و قائد و رئيس؛ حيث يتمتع بناءً على ذلك بأحكام خاصة تدعي أحكام الرئاسة، فهو يتّخذ القرارات المناسبة التي تنسجم و مصالح المسلمين ومنافع المجتمع الإسلامي؛ ولهذا كانت طاعته و اجبة. قال تعالى:

-﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ 3

_﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ 4

-﴿ ... وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ 5

-﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ... ﴾ 6

-﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ 7

-﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ 8

وكان بعضهم يعترض

يمثّل سيّدنا محّمد (صلى الله عليه و آله و سلم) قمّة الهرم في التشكيل الحكومي الإسلامي حيث ينقاد له المسلمون طائعين. على أنّ التأمل في الحوادث و الآيات الكريمة يكشف لنا أن بعض المسلمين يشكّكون أو يعترضون حول امتياز النبي في وجوب طاعته أوّلا و أخيراً. لنتأمل في هذه الأية الكريمة من قوله تعالى: ﴿ ... وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ... ﴾ 9.

معركة أحد

لكي نستكشف معاني الآية الكريمة من الضروري ان نعرف أسباب نزولها وطبيعتة الحادثة التي رافقتها أو سبقتها.

أحيط النبي علماً بتحركات قريش و زحفها باتجاه المدينة، فاجتمع سيّدنا محّمد (صلى الله عليه و آله و سلم) بالمسلمين و أطلعهم على آخر الأنباء وكان رأي رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) التحصن بالمدينة.

وتظاهر المنافق عبد الله بن أبي سلول بتأييد النبي، و لكن الشباب المتحمسين؛ خاصه أولئك الذين لم يشاركوا في معركة بدر، وجدوا هذه المناسبة فرصة للاندفاع و رفض فكرة التحصن في المدينة، و أيّدهم في ذلك سعدبن معاذ، و سيطر شعار"النصر أو الشهادة إحدى الحسنيين"على أجواء الجدل، و كان على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يحسم الموقف فدخل الى منزله و خرج و هو يسوي لأمة القتال.

وهنا شعر المتحمسون إنّهم قد فرضوا رأيهم على النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) فشعروا بالندم قائلين: استكرهنا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ثم اعتذروا و قالوا: اصنع ما شئت با نبيّ الله. فقال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لاينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل. وأصدر أمره بالتحرّك لمواجهة العدوان.

عبأ النبي قوّاته للإشتباك، و أمر خمسين من أمهر الرماة بالتمركز فوق سفوح جبل "عينين" لحماية ظهر الجيش الإسلامي من حركة التفاف يقوم بها العدوّ. وقال لابن جبير قائد الرماة:

- انضحوا الخليل بالنبل لا يأتونا من خلفنا.

- و التفت الي جموع الرماة مؤكدا:

- احموا لنا ظهورنا. لا يأتونا من خلفنا. وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدّم على النبل، انّا لا نزال غالبين ما لبثتم مكانكم.. اللّهم إني أشهدك عليهم. وللمرّة الأخيرة أوصاهم النبي (صلى الله عليه و آله و سلم):

-إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتي أرسل اليكم، و ان رأيتمونا ظهرنا على القوم و أوطأناهم فلا تبرحوا مكانكم حتي أرسل اليكم و إن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا، و إن رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدافعوا عنا.

وعند ما اشتعلت المعركة كان النصر للمسلمين أوّلاً حيث ولّي المشركون الأدبار، و في تلك اللحظات الحساسة ترك الرماة مواقعهم رغم تحذير القائد الذي كان مرابطاً مع اثني عشر ملتزمين بأوامر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم).

وهنا انتهز سلاح الفرسان بقيادة خالد بن الوليد الفرصة و شنّ هجوماً كاسحاً في حركة التفاف سريعة، و فاجأ بذلك مؤخرة الجيش الإسلامي، فحدثت الفوضي في صفوف القوات الإسلامية و تغير الموقف لصالح المشركين الذين راحوا يطاردون المسلمين.

ولولا صمود المخلصين و في طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب لبقي الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) وحيداً و لتعرضت حياتة للخطر.

وفي تلك اللحظات أدرک المسلمون عواقب مخالفتهم لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

وبرزت تساؤلات حول قيادة الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) المطلقة وهل أن للمسلمين في ذلک رأياً.فجاء الوحي الإلهي ليجيب:﴿ ... قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ... ﴾ 9

وقال فريق من المسلمين:﴿ ... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ... ﴾ 9

فجاء الجواب الإلهي:﴿ ... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ... ﴾ 9 "قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الي مضاجعهم ".

ثم جاء تفسير الهزيمة في احد في قوله سبحانه:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ... ﴾ 10

وأدرک المسلمون موقع الرسول في القيادة من خلال قوله تعالي:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ 11. مع التأكيد على أهمية الشوري و بقاء القرار النهائي بيد النبي (صلى الله عليه و آله وسلم):﴿ ... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴾ 12

ومن هنا نفهم سيرة النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فهو قائد إضافة الي دوره في تبليغ الشريعة و الوحي، و

يبقي مساره في أوامره و قراراته ضمن دائرة القانون الإلهي و الشريعة السماوية13.

_____

1. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 59، الصفحة: 87.
2. القران الكريم: سورة النجم (53)، الآية: 3 و 4، الصفحة: 526.
3. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 132، الصفحة: 66.
4. القران الكريم: سورة التغابن (64)، الآية: 12، الصفحة: 557.
5. القران الكريم: سورة المجادلة (58)، الآية: 13، الصفحة: 544.
6. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 80، الصفحة: 91.
7. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 64، الصفحة: 88.
8. القران الكريم: سورة الأحزاب (33)، الآية: 6، الصفحة: 418.
9. a. b. c. d القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 154، الصفحة: 70.
10. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 152، الصفحة: 69.
11. القران الكريم: سورة الجاثية (45)، الآية: 18، الصفحة: 500.
12. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 159، الصفحة: 71.
13. من كتاب دراسة عامة في الامامة.